المسكن الروماني بالمدن التحصينية (مسكن الفسيفساء بتيديس نموذجا)

د. بوعويرة نبيل
قسم الآثار جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

ملخص

تعتبر عمارة المسكن من أهم وأُولى النشاطات المعمارية التي مارسها الإنسان، وذلك لما كان لها من أهمية ودور كبيرين في تحسين ظروف معيشة الفرد منذ بدايات وجوده على وجه الأرض، حيث ظلت أهميتها راسخة في عمران مختلف الحضارات الإنسانية، وهو الأمر الذي تجلى بوضوح في عمارة المساكن الرومانية بمختلف أنحاء العالم الروماني، حيث سنسعى هنا لتأكيد ذلك من خلال دراسة لعينة من مساكن المدن التحصينية، وهو ما عرف اصطلاحا بمسكن الفسيفساء، إذ رغم طبيعة الدور السياسي والعسكري الذي لعبته المدينة التي وجد بها(تيديس) إلا أنه استطاع بتخطيطه مسايرة مخططات المساكن الرومانية بمختلف مدن العالم الروماني على غرار روما، تيمقاد وجميلة..، كما استطاع أيضا أن يحفظ لنفسه نوعا من الخصوصية المعمارية التي نتجت عن الطبيعة العسكرية للمدينة زيادة عن خصوصيتها التضاريسية.

الكلمات المفتاحية: المسكن الروماني، مسكن الفسيفساء، تيديس، العمارة السكنية.

Abstract:

The houses architecture is the first and most important architectural activities practiced by human, Because of its role in improving human living conditions since the beginning of its existence on earth, where it has maintained its importance through the history of civilizations, this was justified by the architecture of the houses in Roman civilization, We seek through this research to confirm This important By studying the monuments of the mosaic house in Tiddis site. Despite the military role of the city, but the plan of the house was similar with houses plans of Roman cities like Rome, Timgad and djemila…, on top of that it is characterized by architectural specificities due by the political role of Tiddis and the topography of the city.

تقديم

تيديس أو الكاستلوم تيديتانوروم (Le castellum Tidditanorum) واحدة من بين المدن التي كانت تابعة للإقليم الكونفدرالي السرتي، هذا الإقليم الذي شغل المنطقة التي حازها سيتيوس من قيصر في العهد الإمبراطوري، إذ كان يضم أربع مستعمرات هي مستعمرة سيرتا (Cirta) ومستعمرة روسيكادا (Rusicade) ومستعمرة شولو (Chulu) ومستعمرة ميلاف (Milev)[1]، ومن بين القرى التي كانت تابعة

لمستعمرة سيرتا نحصي: كالديس (Caldis) وصدًار (Seddar) وتيديس (Tiddis) وسيلا (Sila) وتيجيسيس (Tigisis) وأوزيليس (Uzelis)[2].

رغم أن المدينة كان لها دور عسكري بدرجة أولى إلا أن عمرانها قد احتوى على كل ما يمكن أن تحتويه المدن الرومانية من منشآت دينية، عسكرية، ومدنية، وذلك مع بعض الخصوصيات والاستثناءات التي ميزت أغلب هذه المنشآت.

إذا كغيرها من المدن الرومانية فقد عرف عمرانها وجود المساكن الخاصة ذات التخطيطات والمساحات المتباينة وقد تجسد أحسن مثال بها فيما اصطلح عليه (فيلا الفسيفساء)، حيث يعد بشكل ما مثالا للمنزل الروماني الحضري (Domus) وذلك لشكل عمارته التي تتقاطع نوعا ما مع عمارة المساكن الرومانية سواء في روما أو في المقاطعات الرومانية، حيث سنسعى فيما يلي من صفحات هذا البحث إلى تقصي أهم مكونات ومميزات هذا المسكن وبالتالي التعرف على طبيعة تقسيماته ومنه تحري مدى تأثر عمارته بعمارة المسكن الروماني.

المسكن الروماني بشمال إفريقيا:

لقد اختلفت المخططات المعمارية للمساكن الرومانية عن بعضها البعض في مختلف المقاطعات الرومانية، وهذا لعوامل كثيرة منها الظروف المناخية وكذلك الخصائص الاجتماعية لكل مقاطعة، فالمسكن الروماني الأفريقي مثلا لم يحتوي في الغالب على قاعات مغلقة، فقد جاءت كل قاعاته مفتوحة على فضاء داخلي قد يكون ساحة أو حديقة أو أن يكون مسبحا أحيانا أخرى، ونجد عادة نافورة ماء في هذا الفضاء الداخلي، والقاعة الرئيسية فيه هي قاعة الأويكوس (Oecus) وهي قاعة أكل وعزومات، كما أن هنآك غرف ذات طابع استثنائي في المنازل الرومانية الأفريقية مثل منازل بولاريجيا (Bulla Regia)[3]، وهي غرف تحت أرضية وتضاء بواسطة فتحات على مستوى أرضية الشارع، بنيت لمقاومه الحرارة الشديدة في فصل الصيق، ونجد دائما الأمبلوفيوم (Impluvium)[4] متاخما لأحد جدران المنزل عوض آن يشغل مركز القاعة، ويمكن أن نعتبر هذه الخصوصيات أصلية محلية، تهدف أساسا لمقاومة الحرارة الشديدة في فصل الصيف بالنسبة للغرف تحت الأرضية وضمان التهوية بالنسبة للتوزيع المعماري الجديد لأقسام المنزل مثل موضع الأمبلوفيوم (Impluvium).

بخصوص دراستنا هذه حول المسكن الروماني بالمدن التحصينية فسوف نعتمد فيها مبدأ دراسة مكونات مسكن الفسيفساء بتيديس ومنه المقارنة بين ما توفر لدينا في مخططه من جهة والمخططات النموذجية للمسكن الروماني من جهة أخرى.

مسكن الفسيفساء (La maison à mosaïque) بتيديس:

إن مخطط مسكن الفسيفساء في شكله العام عبارة عن شبه منحرف قاعدته الكبرى باتجاه الشرق، والصغرى باتجاه الغرب، وهذا المركب بذاته يمثل جزء من مجموعة مباني محاذية له، حيث أن جانبه الأيمن يرتبط مع مجموعة من القاعات المرتبطة بدورها مع منشآت أخرى يصعب معرفة طبيعتها الحقيقية رغم علو أسوارها، أما جهته اليسرى فقد حفت بطريق يوصل إلى درج الديكيمانوس الكبير (**أنظر صورة 01**).

للعلم فإنه في وصفنا وأثناء اعتمادنا على المخطط المنجز من طرف برتيي (Berthier)[5] قد عملنا على إعطاء تسميات حرفية لقاعات المبنى تتوافق مع الأحرف الموجودة داخل المخطط العام لقاعات هذا المبنى، وهذا قصد تقديم شروحات واضحة ووصف دقيق (**أنظر شكل01**).

بهو الجهة الغربية (ط):

أهم مداخل هذا المبنى يقع بالجهة الغربية أين ينفتح بعتبة تفضي مباشرة إلى بهو، وقد بنيت هذه العتبة في فترة متأخرة، الأمر الذي يثبته تَوَضُعَها فوق تبليط سابق، إن حالة الحفظ السيئة لهذا الجزء صعبت من معرفة الدور الحقيقي للفضاء أو الأرضية التي تعلو الخزانات هذا الفضاء الذي يتربع على أكبر المساحات بهذا المنزل وهي الميزة التي تجعلنا نستبعد أن يكون مجرد بهو (Vestibule) أو ممر مرتبط بالمدخل الغربي في حين نتحفظ في الجزم بكونه (Atrium)[6] لعدم وجود أدلة تبين انفتاحه على الغرف المحيطة به وهي الميزة الرئيسية التي يمتاز بها كل (Atrium)، هذا ولو علمنا أيضا أن الأجزاء من السقف الذي يعلو جوانب الأتريوم ويحيط ب (Impluvium) يكون محمي بما يسمى ب (كُنَّة) أو سقيفة مغطاة بالقرميد وتستند على هيكل من عوارض خشبية كبيرة تحمل بدورها على أربع دعامات أو أعمدة تشغل كل واحدة من هن زاوية ويمكن أن تكون أكثر من أربعة إذا زادت مساحة الأتريوم[7]، إذا ومن هذا المعطى فإننا يمكن أن نتحفظ أيضا في الجزم بوجود هاته الأعمدة التي لم يبقى لها أثر على أرضية البهو، زيادة على ذلك فإن المستوى التحت أرضي لهذه الأرضية والذي شُغلت كل مساحته بالخزانين تجعلنا نستبعد وجود هذه الأجزاء من المسكن بسبب تأثير ثقلها على غطاء الخزانين.

الخزان ذو الحوضين (ط):

غطي هذا الخزان بغطاء شكَل أرضية للقاعة ذات المدخل المباشر من الرواق الغربي، ولقد امتاز هذين الحوضين بنفس الخصائص وقد اتصلا فيما بينهما بواسطة قناة.

- الحوض الغربي أنجز غطاؤه بخرسانة ملاط ممزوجة بالحصى على شكل سقف مقبب ذو وجه داخلي محدب، وقد ثقب سقف هذا الخزان في جانبيه ليسمح بمرور أنبوبين فخاريين بطول 0,70م وقطر 0,10 م يستعملان في ملء الخزان. أما الحوض الشرقي فقد وجد بجهته الجنوبية ثقب للتفريغ حيث مازال يلتصق به جزء من أنبوب رصاصي.

بالقرب من البوابة الغربية لهذه القاعة التي تعلو الحوضين يوجد حوض صغير من الحجارة على شكل برميل دائري بقياس 0,40م قطر داخلي 0,60 قطر خارجي و0,30م عمق، وقد احتوى هذا البرميل على ثقب دائري يقابل أحد الأنبوبين الفخاريين السابقين اللذين يستعملان في ملئ الخزان (**أنظر صورة02**)

وهنا يظهر أن دور هذا الحوض أو البرميل الحجري الصغير يمكن أن يتشابه مع دور (Impluvium) في المنازل الرومانية وهو تجميع المياه التي قد تأتي من الخارج أو التي تنزل من سقف المبنى، إلا أن السقف في هذا الجزء من المبنى يفترض أن يكون مغطى وبالتالي نستبعد أيضا فرضية وجود(Compluvium)[8]، أرضية هذه القاعة تمثل حاليا أعلى مستوى لمجمع فيلا الفسيفساء، هذا رغم عدم احتوائها على جدران محيطة وذلك بعد تهدمها شبه الكلي ومع هذا فإننا نرى أن مستوى هذه القاعة مع أنه يمثل مستوى الطابق الأرضي مقارنة مع المدخل الغربي، إلا أنه في نفس الوقت يمثل مستوى الطابق العلوي بالنسبة للقاعات الشرقية التي لها مستوى تحت أرضي ينخفض عن المستوى الأول بما يفوق المترين.

القاعتين (د، ه): هما قاعتان منحرفتان عن المنزل لكنهما تابعتان له وتقعان بزاويته الجنوبية.

القاعة (د) الجدار الجنوبي لهذه القاعة هو الجدار الوحيد المبني بحجارة كبير على شكل تقنية (Opus Quadratum). تتصل هذه القاعة بالقاعة (ه) التي بدورها تتصل بالخارج بواسطة باب يتجه نحو الشمال.

الجدران المحيطة بهاتين القاعتين أنجزت من الدبش المربوط بالملاط الطيني وفصلت أيضا بحجارة كبيرة رابطة (pierre de chainage)، في الحافة الشمالية لهذه القاعة (ه) وجد ما يسمى بمزراب أو ساقية، تسمح بإجلاء المياه، جدران هذه الساقية بنيت من الدبش حيث بلغ عمقها 0,60م وعرضها 0,30م وتَعبُر كل طول القاعة (ه)، مستوى أرضية هاتين القاعتين ينخفض بما يفوق المتر عن مستوى أرضية القاعات المحاذية لها من منزل الفسيفساء (م، ل)، وكذلك مستوى الأسوار الحالية المهدمة والتي ينتهي ارتفاعها عند بداية أرضية القاعات (م، ل).

إذا كانت هاتين القاعتين (د، ه) لا يشكلان جزء من منزل الفسيفساء فإن جدارهما الغربي يحف الساحة التي بنيت عليها القاعة الساخنة لحمام هذا المسكن، لأن هذا المسكن الذي أنشأ في الفترة الرومانية قد تألف من مجمع هيدروليكي مركب من:

- خزان ذو حوضان في الجهة الغربية(ط).
- قاعة فسيفساء كبيرة في الوسط (ي).
- بهو مبني فوق خزان ماء في الجانب الغربي (ط).
- وفي الجنوب قاعة ساخنة أو قاعة التعرق (Caldarium) بها آثار لدرج، مما يشير إلى وجود طابق علوي بالمعلم.
- هذا بالإضافة إلى مجموعة من المكونات الأخرى لهذا المنزل، حيث سنعددها مع ما يلي من القاعات والغرف.

قاعة الفسيفساء الكبرى (ي):

تحدها من الغرب قاعة الخزان ذو الحوضين وقد بلطت أرضيتها بفسيفساء، قياسات هذه القاعة قدرت ب 6,20×5,85م جدارها الغربي هو الجدار الشرقي المزدوج لقاعة الخزانات (ط) فصل ثلاث مرات بواسطة حجارة كبيرة متعامدة فوق بعضها تتخلل واجهة مبنية بالدبش المتوسط بما يشبه تقنية (Opus Africanum).

الجدار الشرقي هدم جزء كبير منه، أما الجدار الجنوبي فقد فصل بعتبتين أصغرهما تُدخلُ إلى القاعة الساخنة (Caldarium)، والكبيرة تُدخلُ إلى حوض مائي.

بلطت أرضية هذه القاعة بفسيفساء مربعة لم يبقى منها إلا جزء بسيط، هذا التبليط جمع بين لوحتين متلاصقتين، اللوحة المهمة منهما قدر قياس ضلعها بـ 4,70 م وقد تكونت الأرضية أيضا من شريط فسيفسائي بمكعبات بيضاء ورمادية وبنية، فصل بين حواف الفسيفساء والجدار إطار الفسيفساء ذو العرض 0,20م وهو مزخرف بأزهار اللوتس المتتابعة والمنمنمة والتي تنفصل عن بعضها بواسطة خلفية سوداء، وسط الفسيفساء مزين بعناصر دائرية ضمنها أزهار وأشكال معينات متناوبة، وقد اختلفت كل زهرة عن الأخرى، أما المعينات فجاءت مزخرفة بديكور على شكل أشعة محيطة بدائرة مركزية صغيرة يصدر منها سهمين وزهرتين باتجاهات متعامدة، وتفصلهما عن بعضها أربعة خطوط صغيرة، كما تنفصل كلها عن بعضها البعض بواسطة خلفية من مكعبات بيضاء، ولقد جاءت أشكال الدوائر كلها بلون أسود والأزهار بلون أحمر وبني[9] **(أنظر صورة03)**.

اللوحة الأخرى الملتصقة بهذه اللوحة الفسيفسائية من الجهة الجنوبية كانت مستطيلة، اختلف إطارها عن إطار اللوحة الكبرى حيث كان مزخرفا بخطوط منحنية متلاقًة فيما بينها، منتهية

برؤوس ثلاثية وزخرفتها الداخلية كانت على شكل ورقات هلالية تحيط بدائرتين بيضويتين متعاقدتين ويشكلان تعامد.

في وسط هذه القاعة (**ي**) توجد قاعدة عمود موضوعة فوق بلاطة مربعة **(أنظر صورة04)** يرجح (**برتي**) أنها كانت تحمل عمودا يبدو وكأن له علاقة مع النتوء الموجود في الركيزة اليسرى للباب الذي يربط هذه القاعة مع الغرفة الجنوبية ذات الحوض الصغير[10]، حيث يمكن أن يحمل هذا النتوء وهذا العمود قوسا علويا وهذا بسبب التقابل والتناظر الذي يحققه هذين الجزأين (هذا إذا استبعدنا التدخلات اللاحقة التي مست المبنى) ، لكن نقص المعطيات المادية صعبت من تأكيد هذه النظرية، وإذا صح هذا التصور بوجود القوس فإن القاعة (ي) بالإمكان أيضا أن تكون فضاء مفتوحا بدون تسقيف، يظهر أيضا بهذه القاعة وعلى طول الحافة الموازية للجدار الشرقي بقايا لحطام أنابيب فخارية متسلسلة تشكل قناة تنطلق من زاوية الجدار الجنوبي لتنتهي في زاوية الجدار الشمالي أين تقترب من البئر الموجود بالزاوية الغربية للبهو **(ح)** ، حالة حفظ أرضية هذه القاعة سيئة جدا وهذا لما مسها من تخريب أدي إلى اندثار جزء كبير من الفسيفساء.

إذا رغم الموقع الوسطي لهذه القاعة إلا أنها تستبعد أن تكون (Atrium) ويبقى دورها متعلق بغرف الحمام (م-ل) ومنه بالإمكان أن يكون لها دور (Tepidarium)[11] أو (Apodyterium)[12] هذه الأدوار التي تؤكدها

الخصائص المعمارية لهذه القاعة مقارنة مع قاعات (Tepidariumو Apodyterium) في الحمامات الرومانية[13]، وذلك إبتداءا بتموقعها الوسطي زيادة إلى مساحتها الكبيرة وكذلك أرضيتها المزينة بالفسيفساء وانفتاحها على حوض الحمام البارد.

القاعة الساخنة (LE Caldarium) (م، ل):

من خلال العتبة الضيقة بطرف الجدار الجنوبي لقاعة الفسيفساء نستطيع أن ندخل إلى القاعة الساخنة، حيث نلاحظ عند المدخل بقايا فسيفساء ذات شكل شطرنجي بلون أبيض وأسود، جدران هذه القاعة على شكل متجانس وقد بنيت غالبيتها بالآجرعلى شكل تقنية قطع الآجر (Opus Testaceum) الذي يتخلله أحيانا لوحات من الدبش الصغير، على شكل رمز زائد (+) مما يعطينا تقنية أخرى هي التقنية المختلطة (Opus Mixtum) ولقد قسمت القاعة إلى حجرتين:

الحجرة الشمالية (م):

احتوت على بقايا دعامات الهيبوكوست المكعبة.

الحجرة الجنوبية (ل):

أصغر من الحجرة الأولى، وقد احتوت أيضا على بقايا دعامات الهيبوكوست مصفوفة فوق بعضها البعض وقد فقدت الملاط الرابط بينها، يظهر على حواف هذه القاعة بعض بقايا التبليط التي تغطي طبقة خرسانة ترتكز بدورها على الدعائم السابقة، ربط آجر وحجارة هذه القاعة بالملاط الذي زاد من مقاومة جدرانها التي لا تزال بحالة حفظ حسنة، ومع ذلك فإنها لم تَخلُ من مظاهر التلف الذي يطال حواف الجدران العلوية، وكذلك أرضيتها التي خربت كليا.

قاعة الحوض الصغير (ي2):

العتبة الكبرى التي لاحظناها في الجدار الجنوبي لقاعة الفسيفساء الكبرى (ي) والتي رجحنا أن يكون لركيزتها اليمنى علاقة مع العمود الذي يتوسط القاعة (ي) قد حفت مباشرة من الداخل بحوض صغير ذو أبعاد داخلية قدرت ب 1,80م× 1,40م، وهو محاط في جوانبه الثلاثة بواسطة حافة على شكل مقاعد ملبسة كليا بملاط، تبليط هذا الخزان كان بتقنية السنبلة (Opus Spicatum) عن طريق استعمال الآجر، أما قناة تفريغه فوجدت بالجهة الشمالية. الجدار الجنوبي الذي تستند عليه حافة هذا الحوض لم يبقى منه إلى أثر أساسه، وكذلك الجدار الشرقي فقد بقي منه جزء يسير. في حين أن الجدار الغربي قد بقي منه جزء مهم مبني بتقنية (Opus Vittatum)، ونظرا لارتباط هذا الحوض بالقاعة (ي) (Apodyterium) وبُعده عن قاعات (LE Caldarium) فهو أقرب لأن يكون حوض استحمام بارد (Piscine froide).

البهو (ح):

يبدو هذا الجزء على شكل بهو بقياس 6م × 4م مبني بالحجارة الصغيرة ينفتح في غربه على سلم بإحدى عشرة درجة، ولا تزال أرضيته تحتفظ بجزء من الفسيفساء التي يبدو أنها أنجزت بمكعبات بيضاء وسوداء على شكل شطرنجي.

الجدار الشرقي لهذا البهو (ح) لم يبقى منه إلا جزء بسيط حيث ترتفع قمته لتتساوى مع أرضية هذا البهو، وهو يمثل جزء الجدار الخارجي للمنزل، طريقة بنائه استعمل فيها حجارة كبيرة بالإضافة إلى حجارة متوسطة، وتسود فواصله أحيانا بعض الحجارة الصغيرة، وهو في عمومه جدران غير منتظم التقنية، وهو بخصائص بنائه وميلانه وعدم توافق زواياه مع زوايا جدران القاعات الأخرى يظهر وكأنه يخص معلم آخر سابق، أما الجدران الشمالية والجنوبية فقد بنيت بنفس الطريقة حيث استعملت فيها تقنية (Opus Vittatum).

هذا الفضاء (ح) إن صح الافتراض فإنه أقرب إلى أن يجسد لنا فضاء مفتوح على شكل (Atrium)، هذا الجزء من المسكن الروماني الذي يعتبر أهم جزء تدور خلاله حياة الأسرة وهذا بسبب اتساعه زيادة إلى توفره على الإضاءة الطبيعية من خلال فتحة في سقفه تسمى (Compluvium) كما تعمل أيضا على تهوية المنزل بالإضافة إلى تحصيل مياه الأمطار، وتكون غالبا مربعة[14].

ومما زاد من نسبة هذا الافتراض هو توفر هذه القاعة في زاويتها الجنوبية الغربية على حوض دائري صغير يعلو بئر أو خزان تحت أرضي، وهو بذلك يجسد ولو بصفة المقاربة ما يسمى في العمارة الرومانية (Impluvium) والذي يعمل على جمع مياه الامطار المحصلة على السقف لاستعمالها في وقت الحاجة[15] (**أنظر صورة05**).

لكن الإشكال الذي نواجهه في طرح هذه الفرضية هو نفس الإشكال المطروح في البهو (ط) والمتعلق بالسقيفة التي لم يوجد أثر للأعمدة الحاملة لها.

القاعة (ن2): تحتفظ في قسمها الشمالي على تبليطها الفسيفسائي، الشريط الفاصل بين إطار الفسيفساء والحائط مُلئ بمكعبات ذات لون أسود أما الإطار فكان مزخرف بأشكال مختلفة يصعب تحديدها بسبب التخريب الذي مسها.

القاعة (ن): تتصل مع القاعة (ن2) أرضيتها أيضا تعرضت للتخريب بعدما حفر بوسطها حفرة ذات قطر 1,45م لتحوي صخرة ذات فجوة أو حوض بعمق 0,30م، على غرب القاعتين (ن+ن2) نجد رواقين متوازيين مشكلين من غرف مفصولة بجدار طويل دون أية فتحة بينهما، فيما يخص طبيعة ودور هاتين الغرفتين السابقتين فإنه يصعب التكهن به.

في محور القاعة (ن) نجد الغرف المتتالية: (ص+ ع+ ف)، بخصوص الدور الذي قد لعبته هذه القاعات فإنه يبقى مبهما،

الغرفة (ص): ترتفع أرضيتها عن مستوى الغرفتين السابقتين، وهي مبلطة ببلاط مصنوع بمادة الآجر الأحمر الذي تسوده بعض الحبات السوداء، وهو مصفوف بتقنية السنبلة (Opus Spicatum)، وخلافا للتخريب الذي عرفته هذه الأرضية في فترات متقدمة من التاريخ والذي كان نتيجة إنشاء معصرة زيتون بها فإن حالة حفظها لا تزال حسنة بسبب المقاومة الجيدة للآجر بالإضافة إلى ملاط الربط وكذلك طريقة ربطها المتقنة.

الغرفة (ع): جدرانها الشمالية والجنوبية امتازت بالضخامة وقد بنيت بالدبش الصغير والمتوسط المختلط بطبقات من الآجر.

الغرفة (ف): مغلقة من كل الجهات، شُغلت حواف جدرانها الشمالية والغربية بجدران صغيرة على شكل مقاعد، كما يتكئ جدارها الغربي على الصخر.

بالإضافة إلى المحور السابق (القاعة ن) فإن بالمحور الثاني، أي محور القاعة (ن2) نجد الغرف المتتالية (ش+ س+ ت+ ر) والتي لا تحتوي على أية بوابة خارجية، مما صعب معرفة الدور الحقيقي لها، هاته الغرف التي يرجح أن تكون عبارة عن أقبية سفلية نظرا لوجود درج يخدم الطابق العلوي فوقهم، وقد تكون استعملت كمخازن للمؤونة فيما قد تستغل الغرف التي فوقها لأدوار مختلفة مثل:(Cubiculum)[16] أو (Cellulae)[17] خاصة بالخدم.

الغرفة (ش): هي غرفة صغيرة جدارها الجنوبي يحد الدرج السابق.

الغرف (س + ت +ر): هذه الغرف المتلاصقة حفت من جوانبها الخارجية الأربعة بواسطة جدران بالدبش الصغير والملاط الطيني، وهي بتجاورها تشكل فضاء ذو شكل مستطيل مقسم بسورين وسطيين، واحد بين الغرفتين (س) و (ت) لا تظهر من خلاله أية فتحة، أما الثاني فكان بين (ت) و (ر) حيث يظهر بجانبه الأيمن أثر لدَرج صغير.

إن الجدار الطبيعي الصخري الذي يشكل الواجهة الغربية للغرفة (ر) تظهر به آثار لمغارة صغيرة تشغل منتصف هذه الواجهة.

القاعة (و): هذه القاعة المثلثية في الزاوية الجنوبية الغربية من المبنى تعرضت أرضيتها للتخريب، ندخل إلى هذه الغرفة عن طريق عتبة تربط هذه الغرفة بغرفة الحوض الصغير (ي2).

القاعة (و2): هي عبارة عن رواق ندخله من المدخل الوحيد للجهة الجنوبية التي احتوت الواجهات الثلاث للجدار الخارجي (أ، ب، ج) وقد وجد بها مدخلين، الأول يفضي إلى الساحة المشتركة بين القاعتين (د، ه) والكالداريوم، أما الثاني فيفضي إلى قاعة الحوض الصغير(ي2)، حيث يذكر برتي(Berthier A) أن هذا الرواق قد كان مبلطا بالآجر وبتقنية غير منتظمة، لكن تأثير عوامل التلف على هذه الأرضية لم تترك بها هذا التبليط، حيث أن أهم ما يميز هذه الأرضية هو وجود قناة أرضية متوسطة الحجم مبنية من حجارة الدبش الصغير، إذ تنطلق هذه القناة من عتبة الباب التي تربط هذا الرواق بقاعة الحوض الصغير (ي2) منتهية في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذا الرواق.

القاعة (ح2): إن اختلاف أشكال وأنواع البناء تشهد على أن هذا المبنى قد تعرض للكثير من التعديلات في مراحل مختلفة من تاريخه، هذه المراحل التي تتجسد في المستويات الستراتيغرافية المكتشفة في القاعة (ح2) الواقعة جنوب البهو (ح)، حيث يفصلها عنه الجدار الجنوبي لهذا الأخير، ولهذه القاعة نفس مميزات البهو الأول ونفس تقنيات البناء، ونفس المقاسات، ولا تختلف عنه إلا في مستوى أرضيتها المنخفضة، وقد احتوت هذه القاعة بجدارها الغربي على فتحة تربطها بقاعة الفسيفساء (ي)، ولقد استطاع برتي بهذه القاعة أن يقوم بمقطع كامل للتوضعات التي وجدت بها، الأمر الذي سمح له بالخروج بعدة نتائج تخص تاريخ المبنى.

وللإشارة فان الطبقات العليا لم تكن إلا توضعات بسيطة، وبخصوص أخفض مستوى أثري لهذه التوضعات فقد كان على عمق 2,20.م، حيث استطاع برتيي أن يقوم بالرفع الأثري للطبقتين التاليتين[18]:

- طبقة ذات عمق 2,20. م بها مقعد ذو عرض 0,65م وعلو0,15م، بني من الدبش الصغير ويستند على الجدار الشرقي، بها أيضا قطعة وحيدة من الفخار المستعمل في قبور البازيناس لمدينة تيديس.

- طبقة ذات عمق 1,20- م تلي بلاطات سميكة متوضعة على طبقتين، وتقطع وسط القاعة شاغلة كل عرضها لتشكل مسار ذو عرض 0,70 م، في الزاوية الجنوبية الشرقية قد اختل هذا المستوى بسبب وجود حفرة بقطر 1,35 م وعمق 0,40م هذه الحفرة التي كان مستواها العلوي بنفس مستوى البلاطات السابقة.

ولقد احتوت هذه الحفرة على العديد من البقايا الأثرية التي استطاع برتيي أن يعدد منها: كسور قرميد التسقيف، كسور الآجر، قطع لجِرار كبيرة، حجارة مصفحة، بقايا فحم، قطع فخار، عظام حيوانات صغيرة وطيور، ثلاثة أنياب خنزير، قطع صغيرة من الحديد المؤكسد، عظام الزيتون المحروقة، بالإضافة إلى قطعتي فسيفساء وثلاث قطع نقدية تعود للقرن الرابع (04م)، قطعتين لـ: كونستونس (Constance) وقطعة لتيودوز الأول (Théodose 1er)، وغيرها[19].

نتائج الدراسة الطبقية المنجزة من طرف برتيي:

من كل البقايا والمعطيات السابقة الناتجة عن هذه القراءة الطبقية استطاع برتيي أن يخرج بمجموعة النتائج التي تخص أهم المراحل المتعاقبة على معلم منزل الفسيفساء ككل، حيث رأى أن يحصرها في ست (°6) مراحل[20] هي:

- **المرحلة الأولى**: بقي منها شيء قليل تمثل في المقعد المكتشف في أسفل مستويات التنقيب، بالإضافة إلى القليل من اللقى التي من بينها قطعة فخار مزخرفة تنتمي إلى نمط الفخار الذي استعمل في قبور البازيناس بالمدينة.
- **المرحلة الثانية**: مكوناتها كانت أكثر أهمية إذ احتوت على أسوار بتقنية بناء ما قبل رومانية، وهي نفسها أسوار الفترة التي وجدت تحيط بالمغارة الصغيرة في الغرفة (ر)، أين وجد بها مصباح ذو شكل دلفيني (Delphini forme)، وبهذا يمكن إرجاعها إلى الفترة البونية القديمة التي ينتمي إليها هذا المستوى (سطح أرضية المنزل).
- **المرحلة الثالثة**: تظهر عليها الطبعة الرومانية بمخلفاتها المتعددة من أرضيات الفسيفساء، المنشآت الهيدروليكية بالإضافة إلى الكالداريوم المزدوج وغيرها.

- **المرحلة الرابعة**: وتتجلى في التركيب غير المنتظم لأرضية الحوض الصغير التي بلطت بالآجر، بالإضافة إلى التعديلات التي أدخلت على العتبة المُفضية إلى القاعة الساخنة.
- **المرحلة الخامسة**: تتجسد في المرحلة التي حُوِل فيها دور المنزل إلى دور صناعي تمثل في إنشاء مطحنة الزيتون على حساب تخريب الفسيفساء.
- **المرحلة السادسة**: تظهر في التوزيع الفوضوي لأفران الفخار، وفيها صار كل المنزل عبارة عن أطلال استغلها الفخاريون في بناء أحد أفرانهم بالقاعة الساخنة، وفي هذه المرحلة بالذات قد اختل نظام قنوات المياه وتوقف عن الجريان، وهي نفس المرحلة لنفس الأشخاص الذين هدموا معصرة الزيتون ووضعوا دعامة فوق حجر الطحن الدائري، واستعملوا حجارة الثقل الموازن (Contre poids) في تدعيم الأسوار[21].

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة المقارنة لمكونات مسكن الفسيفساء مع المساكن النموذجية للعمارة الرومانية استطعنا الخروج بمجموعة من الملاحظات والنتائج التي نصيغها فيما يلي:

- أولى النتائج تخص التسمية المنسوبة لهذا المسكن (La villa à mosaïque) والتي استعملت من طرف بعض الباحثين وعلى رأسهم (André Berthier)، هذا التصنيف أي (Villa) يظهر أنه لا يتوافق مع طبيعة المعلم الذي هو جزء من مدينة متكاملة بمنشآتها، وهذا ما يتعارض مع طبيعة وخصوصية الفيلا التي تنقسم حسب المعماري الأثري (Pierre gros) إلى مجموعة من الأصناف مثل (Villa rustica) و (Villa Urbana) والتي يبنى أغلبها خارج المدن[22].

- نلاحظ من خلال المخطط العام للمسكن بالإضافة إلى الاختلاف الشديد في مستوى أرضياته تأثير عامل التضاريسية غير المستوية الذي كانت له انعكاسات متعددة تمثلت في اعتماد تقنية البناء بالطوابق زيادة على عدم توازن واستقامة زوايا الغرف الملتصقة بكل محيط الجدار الخارجي للمنزل.

- امتاز هذا المسكن بتقسيماته ذات التخطيط المعقد، بالإضافة إلى تعاقب التدخلات والتغييرات المعمارية عليه عبر المراحل المختلفة لتاريخ المدينة، وكذلك انعدام المصادر المكتوبة به، وهي كلها أمور صعبت من معرفة طبيعة أصحاب المسكن كما صعبت أيضا من عملية القراءة الواضحة والفهم الجيد لعناصره والأدوار التي لعبتها قاعاته.

- فيما يخص فضاء الأتريوم (Atrium) بهذا المسكن (قاعة ح) فخلافا لما شاع في أغلب المساكن الرومانية باختلاف أماكنها، فإنه لم يشغل كما هو معتاد فضاءً وسطيا في المنزل بل جاء في نهاية الرواق المنطلق من المدخل الرئيسي للبهو (ط) وهو بهذا توسط فقط قاعات الجانب الشرقي.

- من أهم ما يلاحظ في هذا المنزل هو نسبة المساحة التي يشغلها الفضاء المخصص للحمام ولواحقه التي تشغل ما يقارب ربع ¼ من المساحة الإجمالية للمنزل وهي نسبة كبيرة مقارنة بالمساحة الصغيرة للمنزل، وكذلك فإن من أهم الملاحظات التي يمكن الخروج بها هي الأولوية والاهتمام المخصصين لتوفير عنصر الماء في هذا المنزل وهو ما يشهد عليه السعة الكبيرة المخصصة للخزانين تحت البهو (ط) هذا الاحتياطي الكبير للمياه يدل بدرجة أولى على الاستغلال الواسع لهذا العنصر الحيوي وهذا ما له علاقة دون شك مع وجود الحمام.

- لقد كان لهذا المنزل مخططا استثنائيا بسبب تقسيماته غير الطبيعية مقارنة مع مختلف المنازل الرومانية، مع ذلك ورغم الصعوبة الظاهرة في قراءة عناصره إلا أنه من خلال ما تبقى من تقسيماته فإننا نستطيع ملاحظة غياب بعض العناصر المعمارية المألوفة في العمارة الرومانية مثل (Le Peristylium)[23]، (Le jardin)، (L'Oecus)، (Les Boutiques)[24]، (Le tablinum)[25].

- نستطيع في آخر الملاحظات أن نرد كل هذه المميزات والاستثناءات التي عرفها منزل الفسيفساء بتيديس إلى مجموعة من الأمور أهمها الخصائص التضاريسية للمدينة التي امتازت بضيق المساحة المخصصة للبناء، هذا بالإضافة إلى دورها السياسي العسكري بصفتها مدينة تحصينية فرضت على ساكنيها نمطا معيشيا معينا تخلوا بموجبه العمارة من مظاهر الأبهة والبذخ، ودليل ذلك أن منزل الفسيفساء بتيديس يبقى يمثل أحسن مثال للمنزل الروماني بهذه المدينة.

الهوامش:

[1]- أصطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج 8، الرباط 2007، ص 140.

[2]- Gsell (St), Atlas Archéologique de l'Algérie .F17 N°126, Paris 1991. p 12.

[3]- Adam (JP), la construction romaine, matériaux ET techniques, 3emme Ed, Paris 1995, p317.

[4]- الحوض الذي يجمع المياه النازلة من السقف.

[5]- Berthier (A), Tiddis cité antique de Numidie, Mémoires de l'académie des inscriptions et belles lettres T20, BOCCARD, Paris 2000, p 85.

[6]- فضاء مفتوح على الهواء الطلق محاط بأربعة أروقة.

[7]- Gorini (R) et autres, Initiation au latin civilisation et langue, Ed Fernand Nathan, Paris 1970, p57.

[8]- سقف مائل نحو الداخل في ساحة الأتريوم.

[9]- أُعتُمد في الوصف على ما تبقى في الموقع من أجزاء هذه الفسيفساء، زيادة على الاستعانة بالصور القديمة.

[10]- Berthier (A), Op. Cit. p 92.

[11]- القاعة الوسطى الدافئة في الحمامات الرومانية.

[12]- قاعة نزع الملابس في الحمامات الرومانية

[13]- Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 1 les monuments public, 2eme Ed, France 2002, pp 388-415.

[14]- Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 2 Maison, Palais, Villa et tombeaux, France 2006, p22.

[15]- Macaulay David, Naissance d'une cité Romaine, Paris 1977, pp.66.67.

[16]- غرف النوم.

[17]- غرف صغيرة للخدم.

[18]- Berthier (A), Op. Cit. p 96.

[19]- IBID. p 97.

[20]- IBID. p 98.

[21]- IBID. p 98.

[22]- Pierre Gros, L'architecture romaine, du début de III siècle av J-C à la fin du Haut-Empire, 2Maison..., Op. Cit p265.

[23]- هو رواق معمد يحيط بحديقة تتوسط المنزل الروماني.

[24]- محلات أو دكاكين صغيرة.

[25]- وهي غرفة تتوسط الأتريوم والبرستيليوم.

صورة 01: منزل الفسيفساء بتيديس

شكل 01: المخطط العام لمنزل الفسيفساء

Berthier (A), Tiddis cité antique de Numidie

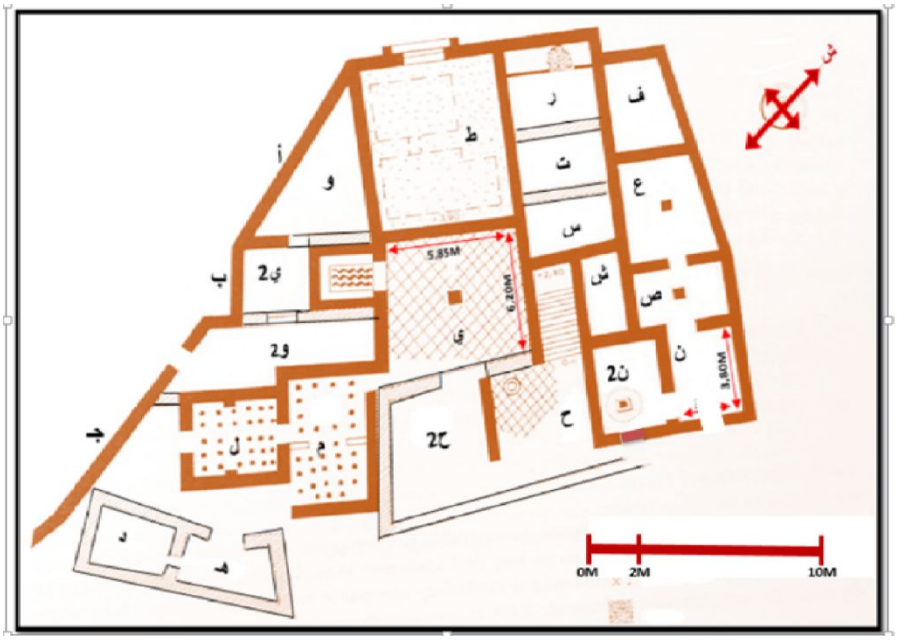

صورة 02: البرميل المائي الممون لخزانات منزل الفسيفساء

صورة 03: مقاطع من الفسيفساء المتبقية بالمنزل

صورة 04: قاعدة العمود الذي يتوسط قاعة الفسيفساء (ي)

صورة05: الحوض الذي يعلو الخزان التحت أرضي بالبهو(ح)